صاحب الصوائف عبيد الله بن عبد الله البلنسي

(١٨٠-٢٣٨هـ/ ٧٩٦-٨٥٣م)

د/ شاهندة سعيد محمود منصور

أستاذ مساعد بكلية الآداب – جامعة الاسكندرية

مقدمة

تعد شخصية صاحب الصوائف عبيد الله بن عبد الله البلنسي واحدة من أهم الشخصيات التى ظهرت فى عصر الإمارة الأموية بالأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م)، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها كونه واحدًا من أفراد الأسرة الحاكمة فى الأندلس؛ فجده هو الأمير عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، أما والده عبد الله البلنسي فهو أحد الإخوة المتصارعين على كرسي الإمارة بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل. وهو ما أثر بالتأكيد في ابنه عبيد الله، وبعد فشل والده فى الوصول إلى سدة الحكم نجح فى التقرب مرة أخرى من أمراء الأندلس، ومن هنا أصبح عبيد الله بن عبد الله البلنسي من المقربين و ذوى المشورة و كبار القواد[١]. ولقد ظهرت شخصية عبيد الله على مسرح الأحداث السياسية فى عصر الأمير الحكم الربضى (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م)، فهو ابن عمه الذى قام بتزويجه لإحدى شقيقاته ثم عهد إليه بقيادة الصوائف، و لعل الدور الأبرز لعبيد الله كان فى عهد ابنه الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م)، فعرف بصاحب الصوائف؛ و ليس أدل على ذلك من تعريف ابن سعيد المغربى له بكونه صاحب جيوشه و صوائفه (يقصد الأمير عبد الرحمن بن الحكم) ابن عمه عبيد الله بن عبد الله البلنسي[٢].

والده هو عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية و المعروف بالبلنسي، لم يكن له ظهور بارز فى حياة أبيه مثلما كان يتردد اسما أخويه سليمان و هشام نظرًا للصراع المستعر بين الإخوة على تولى الإمارة بعد وفاة الأمير عبد الرحمن و لم يكن عبد الله ليظهر على مسرح الأحداث إلا حينما عهد إليه والده الأمير عبد الرحمن الداخل عند وفاته بتسليم إمارة البلاد لمن يدخل قرطبة أولًا قائلًا: "فإن سبق إليك هشام، فله فضل دينه و عفافه و اجتماع الكلمة عليه، و إن سبق إليك سليمان، فله فضل سنه و نجدته و حب الشاميين له"[٣]. تلك الحيلة التى انتهت بدخول هشام الرضا قبل أخيه سليمان، و بالتالي نفذ عبد الله وصية أبيه و سلم الإمارة لهشام دافعًا إليه بالخاتم و أدخله القصر[٤]، وذلك فى غرة جمادى الأولى لسنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م[٥] على الرغم من تخوف هشام من أخيه عبد الله بعدما أصبحت زمام الأمور بيديه. و لقد كلفت هذه الحادثة الدولة كثيرًا فقد أعلن أخوه سليمان الثورة بطليطلة، و لم يكد يمر نحو سبعة أشهر من وفاة الأمير عبد الرحمن الداخل حتى انضم إليه أخوه عبد الله، و على الرغم من المحاولات من قبل هشام الرضا

للإبقاء على أخيه عبد الله بجانبه فإن محاولاته باءت بالفشل ليلحق بأخيه سليمان بطليطلة فى عام ١٧٣هـ/ ٧٨٩م[٦].

ولم تظهر شخصية عبيد الله بن عبد الله البلنسي فى هذه الأحداث، وليس هناك أى إشارة له إلا فى عام ١٧٣هـ/ ٧٨٩م؛ و ذلك حينما خرج هشام إلى طليطلة لأخيه سليمان، الذى استغل هذه الفرصة ليخرج تاركًا من ورائه أخاه عبد الله و ابنه داخل المدينة، وهو ما أشار إليه ابن عذارى بقوله: " وفى هذه السنة، خرج هشام إلى أخيه سليمان بطليطلة فلما نزل عليه، خرج سليمان متخفيًا وخلف أخاه عبد الله و ابنه داخل المدينة"، إلا أن سليمان على الرغم من ذلك لم يتمكن من إحراز أى انتصارات وعاد منهزمًا إلى طليطلة ليتم حصاره لنحو شهرين من قبل الأمير هشام بن عبد الرحمن[٧] لكنه سرعان ما عاد عبد الله بن عبد الرحمن للدخول فى طاعة الأمير هشام و ذلك سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م من دون عهد و لا أمان، فقبله هشام[٨] وأنزله عند ابنه الحكم، كما طلب سليمان الأمان من أخيه هشام فأمنه إلا أنه إرغمهما على مغادرة الأندلس والانتقال إلى المغرب بعدما أعطاه خمسين ألف دينار[٩]، حيث أقام عبد الله لدى الأغالبة فترة من الوقت لينتقل بعدها إلى بلاط الرستميين فى تاهرت، أما سليمان فلقد استقر بمدينة طنجة[١٠].

واستقرت الأوضاع على هذا النحو حتى وفاة الأمير هشام، و ذلك بعدما ظل كل من الأخوين فى مستقرهما بالمغرب حتى بلغهما نبأ وفاة الأمير هشام الرضا فعادا مسرعين إلى الأندلس فى محاولة منهما للوصول إلى الحكم و إقصاء ابن أخيهما الحكم بن هشام عن مقاليد السلطة، فعبر عبد الله من العدوة و نزل بكورة بلنسية[١١] ليأتى من بعده أخوه سليمان من طنجة. و لقد وقع القتال بين الإخوة بالفعل، و تمكن الأمير الحكم من قتل عمه سليمان بن عبد الرحمن و ذلك في سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م[١٢]. أما عمه الآخر عبد الله فلقد اتجه فى بداية الأمر نحو المناطق المعادية للأمير الحكم فنزل بمدينة وشقة[١٣] إلا أنه اضطر إلى مغادرتها بعدما غزاها بهلول بن أبى الحجاج[١٤]، مما اضطره إلى الاتجاه إلى المدن التى كانت مراكز للقوى المناوئة للحكم المركزى؛ و منها مدينتا بلنسية[١٥] فى الشرق –كما ذكرنا– و سرقسطة[١٦] فى الشمال، إلا أنه على الرغم من كل ذلك فلم ينجح فى إحراز أى تقدم أو نجاح على ابن أخيه، فرحل مع ولديه عبيد الله و عبد الملك لمقابلة شارلمان(١٥٤–١٩٨هـ/ ٧٧١–٨١٤م) [١٧] .

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الفرنجية القديمة تذهب إلى أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى)، قدم عبد الله البلنسي (الذى تدعوه المصادر بكنيته أبى العاصى Abulaz) على شارلمان و اجتمع به فى مدينة إكس لاشابيل Aix–la– chapelle، و عرض عليه توجيه حملة من جرندة لاحتلال برشلونة و دلتا نهر الإبرو، و الاعتراف بتبعيته لشارلمان، فأكرم شارلمان وفادته و استجاب لدعوته، و لقي الفرصة سانحة للتدخل فى شئون الأندلس فتوغل فى الثغر الأعلى بممالأة بعض الزعماء الثائرين و لم يوقفه سوى تمكن حاكم الثغر الأعلى أبي صفوان من التصدى له و رده على أعقابه [١٨].

وهو ما اضطر عبد الله إلى طلب الصلح من الأمير الحكم بن هشام، فترددت الرسل بينهما فعفا عنه وأمنه[١٩]، و لكنه حدد إقامته بمدينة بلنسية بعدما أقره على ما بيديه من أعمال وهى بلنسية وتدمير[٢٠] و وشقة وطرطوشة[٢١] و برشلونة[٢٢] وفقًا للصلح الذى تم بينهما، و قد ذكرت المصادر أن هذا الاتفاق على الصلح بين الجانبين تم عام ١٨٦هـ/ ٨٠١م[٢٣]. و منذ ذلك الحين تلقب عبد الله بلقب البلنسي، و قد التزم عبد الله بالمقام بالمدينة حتى وفاة الحكم الربضى خاصة بعد أن قام بإجراء الأرزاق عليه و ذلك على مقدار نحو ألف دينار لكل شهر، كما قام بإجراء المعارف عليه وذلك بمقدار نحو ألف دينار لكل عام. و ترجع أهمية هذا التصالح إلى أن الوسطاء بين كل من الأمير الحكم الربضى و عبد الله البلنسي و هما يحيى بن يحيى الليثى[٢٤] وابن أبى عامر المعافرى[٢٥] قد عادا إلى قرطبة و معهما ابنه عبيد الله بن عبد الله البلنسى الذى قام الحكم بتزويجه من أخته شقيقته[٢٦]. ولقد انفرد ابن حيان بذكر اسمها قائلًا: "فأكرمه الأمير أعظم كرامة، و زوجه أخته عزيزة بنت الأمير هشام"[٢٧]، بل إن هذه المصاهرات لم تقتصر على عبيد الله فحسب حينما ذهب إلى أن الأمير الحكم زوج أولاد عبد الله بإخوته[٢٨]. وقد أظهر البلنسي الطاعة طوال عصر الأمير الحكم بل واندمج ابنه عبيد الله فى الحياة السياسية حينما قام بإسناد قيادة الصوائف السنوية الموجهة إلى أسبانيا إليه حتى لقب بصاحب الصوائف.

قيادة الصوائف:

وهنا لابد من تعريف الصائفة و ماذا يعنى لفظ الصوائف التى لقب بها؟ الصائفة تعنى الغزوة فى فصل الصيف، فالمقصود بالصوائف تلك الغزوات و الحملات العسكرية المنتظمة التى كان يقوم بها المسلمون لحماية حدود البلاد الإسلامية من الأعداء و خطرهم فى فصل

الربيع والصيف وهى عكس الشواتى التى كانت تحدث فى فصل الشتاء. كما أن هذه الصوائف كانت تتجه نحو مناطق تتميز بشكل عام بأن طبيعتها جبلية وعرة . وهو ما جعلهم عادة يتوجهون معظم الوقت فى حملات فى فصل الصيف اتقاءً للبرد و الثلج، و لقد بدأ نظام الصوائف يظهر منذ وقت مبكر بعد استقرار المسلمين فى بلاد الشام منذ فتحها على يد عمر بن الخطاب. حيث وقفت جبال طوروس حاجزا طبيعيًا بين الجانبين، و من هنا كانت الحرب سجالًا بين الطرفين على المناطق الحدودية و التخوم[٢٩]، و لكنها اشتهرت و توسع نشاط هذه الحملات وتطورت فى عهد الدولة الأموية وبالتحديد فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان، فكان هو أول من رتب للصوائف فى الإسلام بشكل منظم، فكان المسلمون كلما اجتازوا تلك الجبال التى عرفت بدروب الحربيين طرسوس و بلاد الروم و غيرها من الدروب أطلق عليها هذا الاسم و عرفت بالصائفة[٣٠].

وترجع أهمية الصوائف أيضًا إلى طول الفترة التى كانت تمتد من أواسط يوليو إلى أواسط سبتمبر أى إن الحملة في الصوائف تستغرق ستين يومًا على عكس الشواتي التى كانت مدتها أقل وتقتصر على عشرين يومًا و تمتد من أواخر فبراير إلى أواسط مارس[٣١].

ولقد استمرت الدولة الأموية بالأندلس فى الاهتمام بتعبئة الصوائف؛ حيث كانوا يولونها أهمية عظيمة و يجهزونها بالأموال و الجند و الأسلحة، فضلًا عن اشتراك العلماء و الفقهاء فى تلك الحملات، بالإضافة إلى اشتراك الراغبين فى الحملات من باب الجهاد؛ و ليس أدل على اهتمام أمراء الأندلس بالصوائف من أنهم كانوا يعهدون إلى أبناء الأمراء و ولاة العهد بقيادتها.

وقد شهد عصر الأمير الحكم سقوط واحدة من أهم المدن الإسلامية بالأندلس التى كانت تابعة للدولة الأموية و هى مدينة برشلونة ١٨٥هـ/ ٨٠١م[٣٢] كما أن انشغال قرطبة بإخماد الثورات الداخلية التى عانت منها كان له أكبر الأثر فى اشتعال الثورات فى المناطق البعيدة المتاخمة للدول المسيحية الطامعة فى الاستقلال معتمدة على الاستقواء بالخارج فى بعض الأحيان؛ الأمر الذى شجع شارلمان على استغلال كل هذه الظروف فى اقتطاع مدن من المسلمين الواحدة تلو الأخرى وإدخالها فى نطاق دولته. إلا أن الأمير الحكم الربضى كان مشغولًا عنه بمقاتلة الخارجين عليه[٣٣] وفى مقدمتهم عمه عبد الله البلنسي.

ولعل مسلسل سقوط المدن الشمالية بهذا الشكل هو ما دفع الأمير الحكم الربضى إلى إرسال الحملات؛ حيث أخذت الحملات الموجهة من قرطبة تتجه صوب برشلونة فى محاولة منها لاستعادتها مرة أخرى، و من أولى هذه الحملات تلك التى خرجت فى عهد الأمير الحكم الربضى نفسه عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م، بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسى وذلك على الرغم من المجاعة الشديدة التى ضربت البلاد فى ذلك العام، و لكن لم يمنع ذلك خروج هذه الصائفة التى وصلت إلى برشلونة، و عنها يقول ابن حيان" فحل مدينة برشلونة المنتزعة من المسلمين، و كان يوم خميس، فتشوف المسلمون لقتالهم، ومنعهم قائدهم عبد الله من ذلك أشد منع، و حلت من غد يومهم الجمعة، إلى أن حضر وقت الصلاة لها. فلما تحقق وقت الخطبة فى جوامع المسلمين، صلى ركعتين، و ركب و نادى فى الناس بخلاط العدو، فاختلطوا بهم لحينهم، فانهزموا، و منح الله المسلمين أعناقهم، ففض جموعهم، وقتل عامتهم"[٣٤]. (انظر خريطة رقم (١).

و لابد هنا من الإشارة إلى أن صاحب برشلونة فى هذا التوقيت كان القومس Guillaume أو Guillen بن برناط Bernard بن Guillaume الذى كان يحمل لقب " دوق دى تولوز Due de Toulouse، الذى يعرفه الأدب الملحمى الفرنسى باسم غليالم ذى الأنف القصير Guillaume –au-court-nez. وكان غليالم هذا – جد المذكور هنا– قائدًا لحامية أربونة[٣٥] (ناربون Narbonna) حينما اشتبك فى معركة عنيفة مع القائد الأندلسى عبد الملك بن مغيث[٣٦] فى صيف ١٧٧هـ/ ٧٩٣م فى أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن، وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة ساحقة لجيوش الإفرنج (فرنسا). وأما برناط بن غليام فقد كان من قواد الملك الفرنسى لذويق بن قارلة المعروف باسم لذويق أو لويس الورع (Louis Le Pieux Ludovico Pio)، إليه عهد الملك الفرنسي بالدفاع عن برشلونة حينما حاصرتها جيوش قرطبة بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسى سنة ١٩٧هـ/ ٨١٣م[٣٧].

ويصف ابن حيان أعداد القتلى الهائلة قائلًا:" فلما انجلت الحرب، أمر عبيد الله بقناة طويلة، فركزت فى الأرض، و صفت رؤوس الكفرة حواليها حتى ارتفعت فوقها و غيبت شباتها، فلم يعلم مكانها من كوم الرؤوس المتراصفة حفافها، إلى أن تمهدت على قرارة الأرض. و أمر المؤذنين فعلوا قمة ذلك التل يؤذنون فوقها. فكانت غزاة شنيعة الخبر، ممهدة للنصر، شديدة الأثخان فى أهل الكفر، اختال الإسلام فى أردية عزتها دهرًا"[٣٨].

لكن على الرغم من ذلك فلم ينجح عبيد الله فى إسترداد المدينة، ولذلك أعاد الأمير الحكم الربضى الكرّة مرة أخرى فى سنة ١٩٩هـ/٨١٤م و لكنه فى هذه المرة أرسل عمه عبد الله البلنسي إلى برشلونة، حيث اشتبك مع النصارى ونجح فى هزيمتهم. و من المرجح أن يكون عبيد الله البلنسي قد خرج بمصاحبة أبيه ويصف لنا ابن عذارى هذه المعركة قائلًا: " ألفى المشركين قد حلوا بها يوم احتلاله، وكان يوم الخميس؛ فأراد من معه مناشبة الحرب، و تشوفوا للقتال؛ فمنعهم حتى إذا كان فى اليوم الثانى و هو يوم الجمعة وقت الزوال، أمر بتعبئة الكتائب، و قام فصلى ركعتين؛ ثم نادى فى الناس، وركب هو ومن معه، وناهض أهل الشرك. فمنحهم الله أكتاف المشركين، و انهزموا. و قتل عامتهم، وفرق جمعهم" ويصف لنا ابن عذارى كثرة أعداد القتلى بقوله: " فلما أقلع عن القتال و انجلت الحرب، نصب قناة طويلة، فأثبتت فى الأرض؛ و أمر بالرؤوس؛ فجمعت و طرحت حواليها حتى غابت القناة فيها و لم تظهر[٣٩]. و على الرغم من كل ذلك فلم يحرز المسلمون أى فتوحات ثابتة[٤٠].

وبسبب هذه الأخطار حاول الحكم الربضى تأمين مسألة انتقال السلطة قبيل وفاته بتولية ابنه عبد الرحمن ولاية العهد ليكون أول ولى للعهد فى الأندلس و ذلك فى محاولة منه ليضمن استقرار مقاليد الحكم لابنه من بعده. و لقد حاول البلنسي أن يسترد بعضًا من حقوقه فطلب منه أن يضمن إليه كورة تدمير و أن يترك له خراجها، و مع إجابة طلبه بالرفض قام عبد الله باحتلال مدينة بلنسية معلنًا العصيان كما نجح فى جمع عدد كبير من الناس حوله، و عندما قرر المسير إلى قرطبة لإسقاط الأمير عبد الرحمن بن الحكم خطب فى الناس خطبة الجمعة و رفع يديه داعيًا و قال: "معاشر الناس! رحمكم الله، أمنوا على ما أدعو الله به، و اسألوه ما أنا سائله من الخيرة فيما أفعله، و رفع يديه نحو السماء فقال" اللهم إن كنت أحق بهذا الأمر الذى قمت فيه من عبد الرحمن بن هشام فانصرنى عليه، و افتح لى فيه، و إن كان هو أحق منى – و أنا صنو جده– فانصره على"[٤١]، فأمن الناس عليه، و لم يكد ينهى عبد الله هذا الدعاء حتى ضربته ريح باردة فسقط على الأرض مفلوجًا و أكمل الناس صلاتهم بغيره فتفرق جمعه أما أهله فلقد عادوا إلى بلنسية[٤٢]. ولقد كتب عبد الله إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط بما أصابه من علته و يأسه من الشفاء طالبًا منه أن يعتنى بأهله وولده[٤٣].

و لقد استمر عبيد الله بن عبد الله البلنسي فى قيادة الصوائف فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط فلقد عقد الأمير له فى عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م على صائفة طالبًا منه الذهاب إلى مدينة شنتبرية(٤٤) لاختبار طاعتهم و جمعهم و حشدهم بعدما بلغته الأخبار بميلهم إلى أهل تدمير، و بالفعل اتجه عبيد الله صوبهم و لكنهم أظهروا الطاعة له و اجتمعت أعدادهم و ازدادت جموعهم ليتجهز بالمسير صوب أراضى ألبة(٤٥)، فأرسل له الأمير عبد الرحمن بالأعطيات الخازن موسى بن حدير فأعطى الجند و أراح عليهم و غزا بهم ألبة فى ربيع الثانى ٢١٠هـ/ أغسطس٨٢٥م، فعاث فيها تنكيلًا، الأمر الذى وضعه فى مواجهة مع القوات المسيحية، و عند جبل المجوس دارت معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة المسيحيين فقتل آلافًا منهم و عرفت هذه الغزوة بغزوة الفتح(٤٦).(انظر خريطة رقم(١)).

و يبدو أن هذا النجاح الذى أحرزه عبيد الله فى هذه الصائفة هو ما شجعهم فى العام التالى على الخروج فى صائفة عام ٢١١هـ/ ٨٢٦م تحت قيادة القائد نفسه؛ حيث وصلت القوات إلى وادى المينيو و أفسد زروع القلاع، و يبدو وفقًا لرأى بروفنسال أنها لم تكن أكثر من مجرد نزهة حربية و لذلك لم يورد ابن حيان تفاصيل هذه الصائفة(٤٧).

وعلى الرغم من هذا الفشل فى استعادة مدينة برشلونة مرة أخرى فإنها هذه الصوائف لم تتوقف بموت الأمير الحكم الربضي، بل استكملت فى عهد ابنه الأمير عبد الرحمن الأوسط الذى جعل عبيد الله بن عبد الله البلنسى يغزو بالصائفة فى ربيع الأول من سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م، حتى بلغ مدينة برشلونة؛ بغرض مد يد المساعدة لأحد نبلاء القوط المعروف يعرف باسم أيزون Aison الثائر ضد الفرنج بإقليم برشلونة منذ عام٢٠٩هـ/ ٨٢٤م، ولكن هناك سببًا آخر يعد هو السبب المباشر وراء هذه الصائفة، يرجع إلى أن الفرنج بقيادة أمير برشلونة برنارد بن جيوم دوق تولوز(٤٨)، قد أغاروا على أطراف الثغر الأعلى فلقنهم عبيد الله درسًا بعدما هزمهم فى عدة مواقع واجتاح ولاية كتالونية (٤٩). وعلى الرغم من استيلاء عبيد الله على عدد من الحصون و المدن فإنه لم يستطع الاستيلاء على برشلونة نفسها نظرًا لاستماتة حاكمها برنارد بن جيوم فى الدفاع عن المدينة؛ الأمر الذى اضطر عبيد الله إلى رفع الحصار عنها(٥٠).

ولكن هذا لم يمنع عبيد الله بن عبد الله البلنسى من إعادة الكرة فى العام التالى، فخرج بصائفة سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، و جال فيها بأرض العدو حتى وصل إلى برشلونة واجتاحها و ما حولها فى ستين يومًا، و فى ذلك يقول ابن عذارى:" و فى سنة ٢١٣هـ، غزا عبيد الله بن عبد الله

البلنسى بالصائفة إلى دار الحرب؛ فجال فى أرض العدو حتى بلغ برشلونة، و تردد فى تدويخها وانتسافها ستين يومًا"[٥١].

وفى عام ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م بعث عبد الرحمن الأوسط بعبيد الله بن عبد الله البلنسي فى العساكر لغزو ألبة و القلاع، و لقد تمكن عبيد الله من إنزال الهزيمة بالعدو و أكثر من القتل والسبى[٥٢].

أما صائفة عام ٢٢٧هـ/٨٤١م هذه الصائفة الوحيدة لعبيد الله البلنسي التى خرجت فيما وراء جبال البرتات فتذكر المصادر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أرسل جيشًا بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسى و اشترك فيها موسى القسوى[٥٣] الذى كان يتولى مقدمة الجيش التى وجهها الأمويون إلى بلاد الفرنجة، و عندما وصل المسلمون إلى المنطقة الواقعة بين أربونة وسرطانية[٥٤] اجتمعت عليهم الفرنجة من كل ناحية و أحاطوا بالمسلمين بعدما تكالب عليهم الأعداء من كل حدب و صوب، و دارت بين الجانبين معركة عنيفة انتهت بانتصار حاسم للمسلمين و ذلك بعدما تمكنوا من الإحاطة بالمعسكر ليلًا، و لقد قاتلهم المسلمون فى معركة استمرت طوال الليل حتى الصباح و انتهت بنجاح المسلمين فى إنزال الهزيمة بالأعداء[٥٥].

ومن الأحداث المهمة والمرتبطة بهذه الصائفة أنه فى طريق العودة تعرض قائد المقدمة موسى القسوى لإهانة شديدة من قبل خرز بن مؤمن (جرير بن موثق) أحد القادة الأمويين الذين اشتركوا فى هذه الصائفة، و يبدو أنه كان هناك خلاف بين الجانبين، و قد تفاقم هذا الخلاف فى هذه الصائفة و هو ما أدى إلى خروجه عن طاعة الدولة. و من النتائج التى ترتبت على هذا الخلاف أنه عندما خرج الأمير المطرف بن عبد الرحمن الأوسط بالصائفة إلى أراضى نبرة المسيحية بعدما رفض موسى الاشتراك معهم فى هذه الحملة و أرسل ابنه فرتون نيابة عنه على رأس فرقة من الفرسان أثار غضب الأمير المطرف الذى رفض اشتراك فرتون فى هذه الصائفة لتتوالى الصوائف عليه بعد ذلك و على حلفائه من أمراء بنبلونة، و ذلك حتى عام ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م[٥٦].

دور عبيد الله البلنسي فى القضاء على ثورة الربض:

بقيت الإشارة إلى أن عبيد الله لم يقتصر دوره العسكرى على الخروج للقتال فى الصوائف فحسب، بل نجد الأمير الحكم الربضى يستعين به فى القضاء على واحدة من أخطر الثورات التى اشتعلت فى قرطبة ضد الحكم الربضى و التى عرفت تاريخيًا باسم ثورة الربض. و لذلك

لسنا هنا بصدد تناول هذه الثورة التى اقترن بها اسم الأمير الحكم لكننا سوف نتناول فقط دور عبيد الله بن عبد الله البلنسي فى القضاء على هذه الثورة بطريقة قاسية.

و قد اشتعلت فى ١٣ رمضان ٢٠٢هـ/ ٢٥ مارس ٨١٨م، حينما قام أحد مماليك الحكم بصقل سيفه إلا أن خلافًا نشب بينه و بين الحداد تطور إلى جدال فما كان من الجندى إلا أن قام بقتل الحداد[٥٧] فقام العامة بقتل الجندى ردًا على قتل الحداد . و للوهلة الأولى تبدو هذه الحادثة عادية من الممكن أن تحدث فى أى وقت و لكنها لم تكن لتمر و النفوس يملؤها السخط و مهيأة للثورة، و بعدما استغل الفقهاء هذه الحادثة أغلقوا المتاجر و الحوانيت فتوجهت جموع الناس إلى قصر الأمير الحكم و حاصروه[٥٨].

و على الرغم من أن الأمير الحكم فوجئ بجموع الثوار فلم يجزع بل واجه الموقف بكل شجاعة و ثبات، و أمر خادمه أن يحضر الغالية و هى زجاجة عطر ثمين ليتطيب بها، و على الرغم من دهشة الخادم فإنه امتثل لأمره فأفرغها الحكم على رأسه قائلًا: " من أين يعرف رأس الحكم من رأس غيره؟.[٥٩] ثم أخذ فى استدعاء رئيس حرسه الخاص آمرًا إياه بالدفاع عن القصر، كما قام باستدعاء ابن عمه عبيد الله بن عبد الله البلنسي الذى اشترك مع إسحاق بن المنذر القرشي[٦٠] فى القضاء على ثورة الربض، بعدما عهد إليهما الأمير الحكم بذلك و آمرًا إياهما بإن يشقا طريقهما نحو حى الربض و إشعال النيران فيه[٦١].

وبالفعل خرج عبيد الله و إسحاق من باب القصر فرد الناس ناحية باب الجسر و بمصاحبتهما عدد من الفرسان والرجالة حيث تمكنا من التكمين لهم بعدما أدخلوا العامة على الجسر و فتح باب المدينة عند الجسر. ولقد نجحا فى الدخول من باب الحديد و من ثم اقتحام الزقاق الكبير ليجتاز النهرعبر مخاضة و نجح الجنود فى إشعال النيران فى دور العامة بحى الربض و ذلك لإجبار الثوار على فك حصار العامة عن القصر بعدما دسوا للعامة من أخبرهم بما لحق بدورهم و مدى الخطر الذى تتعرض له بيوتهم و عيالهم وهو ما أحدث فوضى فى صفوف العامة واستغلال فرصة انسحابهم من دون نظام و بفوضى فى الإجهاز عليهم، و بمجرد رؤية الثوار للنيران مشتعلة فى ديارهم ومتاجرهم حتى عادوا مسرعين فى فوضى عارمة بغرض إنقاذ أهاليهم و أموالهم، إلا أن الارتداد بهذا الشكل جعل منهم صيدًا سهلًا للإيقاع بهم و هو ما استغله جنود الأمير الحكم فى الإيقاع بهم فأحاطوا بهم من كل جانب و أعملوا فيهم السيف حتى قتل منهم خلق كثير بلغ نحو عشرة آلاف[٦٢].

وللعبرة تم أخذ نحو ثلاثمائة رجل منهم فصلبوا على الوادى صفًا واحدًا من المرج و حتى المصارة، و تفرق من نجا منهم فى جميع أقطار الأندلس، كما اجتاز جزء منهم العدوة المغربية ليتم إنزالهم بفاس فى عدوة عرفت بعدوة الأندلسيين، كما نزلوا بجزيرة أقريطش(كريت)[٦٣] و فى ذلك يقول ابن عذارى بقوله " لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحى الدنيا إلا و تغلبوا عليها و استوطنوها على قهر من أهلها"[٦٤]، لم يكتف الحكم بذلك بل أمر بهدم الربض و حرث أرضه و زراعتها فلم يعمر طوال عصر الدولة الأموية، فلم يجرؤ أحد من خلفائه على إقامة مبان فى هذا المكان حتى أواخر القرن الرابع الهجرى تنفيذًا لوصيته.

الخاتمة

- تعد شخصية عبيد الله بن عبد الله البلنسى واحدة من أهم الشخصيات التى أدّت دورًا فى الحياة العسكرية فى الأندلس فى عصر الإمارة.
- لا شك في أن تربيته داخل قصر قرطبة و بالقرب من القائمين على السلطة؛ هذا بالإضافة إلى الفترة التى قضاها مع والده فى الصراع على كرسى الإمارة قد شكل دورًا كبيرًا فى ثقل الخبرة الحربية له.
- نظرًا لكفاءة مثل هذه الشخصية قرر الحكم الربضى الاستفادة من خبرته على أكمل وجه و لذلك قرر ضمه لرجال الدولة، و ليس ذلك فحسب بل قام بتزويجه من إحدى شقيقاته لتسهم هذه المصاهرة بشكل كبير فى ذوبان الجمود بين الأمير الحكم الربضى و أبناء عمومته.
- لم تذكر المصادر لنا سوى عدد محدد من الصوائف التى قام بها عبيد الله بن عبد الله البلنسي و التى تم حصرها بنحو ثمان صوائف و من الملاحظ أن نصف هذه الصوائف توجهت صوب مدينة برشلونة و هو ما يمكن أن نفسره بإن السبب وراء ذلك يرجع إلى أهمية موقع مدينة برشلونة بالنسبة لمسلمى الأندلس و أيضًا إلى كونها سقطت فى عهد الأمير الحكم الربضى و هو ما جعل الأمير يرسل إليها العديد من الصوائف فى محاولة منه لإستعادتها فنجد أن الصائفتين التى تم إرسال عبيد الله بهما كانتا لبرشلونة .
- يعد عبيد الله البلنسى من أوائل القادة الذين وصلوا إلى الشمال المسيحى فى محاولة منه لاسترداد المدن التى سقطت فى يد المسيحيين بشكل شبه سنوى، و ذلك فى منعطف جديد على الحملات الموجهة إلى الشمال التى كان الغرض منها المحافظة على الرقعة الأندلسية الإسلامية .
- لا شك في أن عبيد الله كان قائدًا ممتازًا خاصة و أن الصوائف كانت تحتاج إلى قادة ممتازين يتولون إدارة عملياتهم الحربية، إذ تتطلب مهارة و حذقًا و سرعة فى البديهة من القادة.
- تمكن الحكم الربضى من رأب الصدع الذى حدث داخل الأسرة الأموية بالأندلس بسبب الخلاف على كرسى الإمارة؛ و ذلك بنجاحه فى تقريب أبناء عمومته و الاستفاد من مواهبهم العسكرية و تخريج واحد من أعظم القادة العسكريين بالأندلس.

الملاحق

خريطة رقم (١)

خريطة من عمل الباحثة اعتمادًا على كل من ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى،ص١٣٦،٤١٩؛ ابن عذارى، ج٢، ص٨٦،٨٣؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٥؛ حسين مؤنس، أطلس العالم الإسلامي

خريطة رقم(٢)

حسين مؤنس، أطلس العالم الإسلامى، ص١٧١خريطة رقم ٩٣

جدول يوضح وجهات الصوائف بالسنوات

م	عهد الأمير	وجهات الحملات	السنوات بالتاريخ الهجري/ الميلادي
١	الحكم الربضى	برشلونة	١٩٧هـ/ ٨١٢م
٢		برشلونة	١٩٩هـ/ ٨١٤م
٣	عبد الرحمن الأوسط	شنتبرية و أراضى ألبة	٢١٠هـ/ ٨٢٥م
٤		وادى المينيو و القلاع	٢١١هـ/ ٨٢٦م
٥		برشلونة	٢١٢هـ/ ٨٢٧م
٦		برشلونة	٢١٣هـ/ ٨٢٨م
٧		ألبة و القلاع	٢٢٤هـ/ ٨٣٨م
٨		أربونة و سرطانية	٢٢٧هـ/ ٨٤١م

الهوامش

(١) ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) ، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٨٥، ج٢، ص٣٦٤؛ عبد الرحمن على الحجى، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة(٩٢- ٧١١هـ/ ٨٩٧-١٤٩٢)، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق- بيروت، ١٩٨١، ص٢٥٢.انظر كذلك ليفى بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية(٧١١-١٠٣١)، ترجمة على عبد الرؤوف البمبى- على إبراهيم المنونى- السيد عبد الظاهر عبد الله- مراجعة صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثالثة، ص١٨٠.

(٢) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن على بن موسى بن محمد)، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص٤٤.

(٣) ابن عذارى المراكشى (أبو العباس أحمد بن محمد)، البيان المغرب فى أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة ج. س. كولان- إ. ليفى بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٨٣، ج٢، ص٦١؛ ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثانى، تحقيق إ. ليفى بروفنسال، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان، ١٩٥٦، ص١١؛ ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٧٧، ج٤، ص٢٧٤؛ أحمد مختار العبادى، فى تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص١١٨؛ ليفى بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٤٠.

(٤) لابد هنا من الإشارة إلى أن الأمير عبد الرحمن الداخل عمد إلى حيلة الغرض منها إيصال الإمارة لابنه هشام دون الدخول في نزاع، و قد اعتمد عبد الرحمن على موقع ولاية كل منهما، فمن المعروف أن ابنه سليمان كان على ولاية طليطلة فى حين كان هشام على ولاية ماردة. ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى)، الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ج٥، ص٢٨٠؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣، ج١،ص١١٩. و مع العلم أن المسافة بين طليطلة وقرطبة٣٤٠ كيلو متر أى ما يعادل ٢١١ميلًا، بينما المسافة بين ماردة و قرطبة ٢٤٥ كيلو متر أى ما يعادل ١٥٢ميلًا. و هو ما يعنى أنه كان على علم عند وفاته بأن ابنه هشام سوف يسبق أخاه سليمان فى الدخول إلى قرطبة. شاهندة سعيد منصور، الحيل السياسية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية إلى نهاية الدولة العامرية١٣٨-٣٩٩هـ/٧٥٦-١٠٠٩م، مجلة وقائع تاريخية، كلية الآداب، مركز البحوث و الدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، ٢٠١٥، العدد ٢٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٠٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٦٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص١١؛ العبادى، فى تاريخ المغرب و الأندلس، ص١١٨؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ص٢١٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٨٤؛ حمدى عبد المنعم حسين، تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص١٢٤.

(٧) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦٢.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٨٤.

(٩) ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٥؛ ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص١١.

(١٠) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٤٩؛ ابن الآبار، الحلة، ج٢، ص٣٦٣؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج١، ص٤٨؛ العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، ص١٢٧؛ عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٢، ص٨٦؛ حمدى عبد المنعم، تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، ص١٢٤..

(١١) بلنسية Valencia: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، و هى شرقى تدمير و شرقى قرطبة، وهى برية بحرية ذات أشجار و أنهار، و تعرف بمدينة التراب، و تتصل بها مدن تعد فى جملتها، و الغالب على شجرها القراسيا، و لا يخلو منها سهل و لا جبل و ينبت فى جبلها الزعفران، و بينها و بين تدمير أربعة أيام. أهلها خير أهل الأندلس يسمون عرب الأندلس، و بينها و بين البحر حوالى ستة كيلو مترات. انظر الإدريسى(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس)، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ، ص٢٥٦؛ الزهرى(أبو عبد الله محمد بن أبى بكر)، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، المركز الإسلامى للطباعة، القاهرة، ص١٠٢؛ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤، ج١، ص٤٩٠؛ القزوينى (زكرياء بن محمد بن محمود)، آثار البلاد و أخبار العباد، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة،٢٠٠٣، ص٤٣٩؛الحميرى(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤،ص٩٧؛ كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي (٩٥-٤٩٥هـ/ ٧١٤-١١٠٢م) دراسة في التاريخ السياسي و الحضارى، مركز الإسكندرية للكتاب.

(١٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٠٩؛ ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٧١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص١٥؛ عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، ص٢٣٣.

Levesque (L.) & Penz(ch.), Histoire du Maroc, Rabat, 1952, p.28.

و قد قُتل سليمان عند مدينة ماردة، و أمر الحكم أن يطاف برأسه في شوارع قرطبة و دفن بالروضة بقصر الإمارة بجوار قبر والده بعد أن شيعت جنازة مهيبة. العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، ص١٢٧.

(١٣) وشقة Huesca: مدينة حصينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطة خمسون ميلًا، ووشقة مدينة حسنة متحضرة، بشرقي مدينة سرقسطة، وهى مدينة كبيرة أولية قديمة رائعة البنيان. حاصر المسلمون مدينة وشقة منذ فتح الأندلس حصارًا طويلًا حتى بنوا عليها المساكن وغرسوا الغروس وحرثوا لمعايشهم، وظل الأمر كذلك سبعة أعوام، والنصارى في القصبة القديمة محصورون، فلما طال عليهم الحصار استأمنوا لأنفسهم وذراريهم، فمن دخل في الإسلام ملك نفسه وماله وحرمته، ومن أقام على النصرانية أدى الجزية، فليس بوشقة من أهلها المتأصلين رجل ينتهى إلى أصل صحيح من العرب. الزهرى، الجغرافية، ص٨٢؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٦١٢. ولمزيد من التفاصيل عن المدينة راجع حمدى عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسى

لمدينة وشقة الأندلسية في عصر الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٦-٩٢٨م)، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٩١.

(١٤) كان بهلول بن أبى الحجاج مرزوق الثائر بالثغر الأعلى قد لحق بأرض برشلونة حيث قضى سنوات ثم عاد فدخل سرقسطة و ملك أيضًا طرطوشة، و انتهى أمره بأن لاقي مصرعه على يد خلف بن راشد ١٨٦هـ/٨٠٢م. ابن حيان القرطبى (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود على مكى، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٣، السفر الثانى، ص٤٧٢؛ العذرى (أحمد بن عمر بن أنس بن الدلائى)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار و البستان فى غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص٢٧. انظر ابن خلدون و قد ذكر أن البهلول بن مرزوق ثار سنة إحدى وثمانين بناحية الثغر، وملك سرقسطة. ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٢، ج٤، ص١٦١.

(١٥) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص١٠٢.

(١٦) سرقسطة Zaragoza: بلدة مشهورة فى شمال شرق الأندلس و هى قاعدة الثغر الأعلى تتصل أعمالها بأعمال تطيلة و هى من المدن الكبيرة ومن أطيب بلاد الأندلس بقعة و أحسنها بنيانًا و أكثرها ثمارًا و أغزرها مياهًا، ملكها الفرنج سنة اثنتى عشرة وخمسمائة، وهى على ضفة النهر الأعظم المسمى نهر إبرة الذى ينبعث من بلاد البشكنس ويصب فى البحر المتوسط، و لها أعمال كثيرة ومدن وحصون وقرى منها مدينة وشقة وغافق، وجراوة وغيرها. الإدريسى، نزهة المشتاق، ص٢٥٥؛ الزهرى، كتاب الجغرافية ، ص٨١؛ القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٥٩- ٤٦٠.

(١٧) شارلمان هو كبير ولد ببين القصير أول ملوك الدولة الكارولنجية، ولد فى نوستريا سنة ٧٤٧م/١٣٠هـ، وتولى الملك هو و أخوه كارلومان إلى أن مات كارلومان سنة ٧٧١م/١٥٥هـ، فانفرد شارلمان بالملك وحارب الأكيتانيين و اللومبارديين و قهرهم. و حارب السكسونيين و البافاريين و السلاف و الآفاريين و الدانمركيين وأتعبهم جميعًا. و هكذا دخل فى حوزته كل ما كان يسمى أوروبا المسيحية، توّجه البابا لاون الثالث إمبراطورًا على الغرب سنة ٨٠٠م/١٨٤هـ، و جدد به السلطنة الرومانية. شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا و إيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بدون تاريخ، ص٣٥. توفى عام ١٩٩هـ/ ٨١٤م . منى حسن محمود، المسلمون فى الأندلس و علاقتهم بالفرنجة (٩٢-٢٠٦هـ/ ٧١٤-٨١٥م)، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٣١.

Pirenne H, Mohamed and Charlemagne, London, 1968, p.228; Hoyt and Chodorow, Europ in the Middle Ages, U.S.A, 1976, p126.

(١٨) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٤٧٥؛ حمدى عبد المنعم، تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، ص١٢٤؛

Einhard, Life of Charlemage in the Medieval world, New York, 1968.

(١٩) ابن سعيد المغربى، المغرب فى حلى المغرب، ج١، ص٤٠؛ ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٧٠.

(٢٠) تدمير Tudmir: كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، و هى شرقى قرطبة و لها معادن كثيرة و معاقل ومدن. الإدريسى، نزهة المشتاق، ص٢٥٨؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان ،ج٢، ص١٩؛ الحميرى، الروض المعطار، ص١٣٠. سميت باسم صاحبها تدمير بن عبدوش بعدما كان يقال لها أوريولة، و كان تدمير مجربًا شديد العقل فلما رأى أن لا بقية فى أصحابه أمر النساء بنشر شعورهم و أعطاهن القصب و أوقفهن على سور المدينة و أوقف معهن بقية من بقى من الرجال فى وجه الجيش، ثم هبط بنفسه بهيئة رسول استأمن فأمن. ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، ج٥، ص٣٢١؛ مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس و ذكر أمرائها و الحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الإبيارى، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبنانى- المصرى، لبنان- القاهرة، ١٩٨١، ص٢٢. حلت مكانها فيما بعد كورة مرسية بعدما أمر الأمير عبد الرحمن الأوسط بهدم مدينة أله حاضرة تدمير و بناء مدينة مرسية٢١٦هـ/٨٣١م . الزهرى، الجغرافية، ص١٠٠؛ عبد الرحمن على الحجى، التاريخ الأندلسى، ص٧٨؛ حمدى عبد المنعم، تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، ص١٥١.

(٢١) طرطوشة (Tortosa): تقع فى سفح جبل و لها سور حصين و بها تنشأ المراكب الكبار من خشب جبالها، وبجبالها خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول و الغلظ، و منها تتخذ الصوارى و القرى و هو خشب أحمر صافى البشرة بعيد التغيير لا يفعل فيه السوس ما يفعله فى غيره من الخشب، و منها إلى طركونة خمسون ميلًا. و قصبة طرطوش على صخرة عظيمة سهلة، و فى الشرق من القصبة جبل الكمين، وهو جبل أجرد و على المدينة صخرة من بناء بنى أمية على رسم أولى قديم و لها أربعة أبواب و أبوابها كلها مبنية بالحديد، و لها أرباض من جهة الجوف و القبلة و دار الصناعة، و تعد بابًا من أبواب البحر و مرفأً من مرافئه يحل إليها التجار من كل ناحية، و هى كثيرة شجرة البقس، و منها تفترق إلى النواحى و خشبها الصنوبر له خاصية فى الجودة تفوق خشب الأمصار. الإدريسى، نزهة المشتاق، ص٢٥٦؛ الزهرى، كتاب الجغرافية ، ص٨٣؛ الحميرى، الروض المعطار ، ص٣٩١.

(٢٢) برشلونة: مدينة على ساحل هذا البحر من بلاد الأفرنج مدينة برشلونة، و هى مما استفتح المسلمون فى أول فتح الأندلس. و هى مدينة لا بالصغيرة و لا بالكبيرة. و هى بالخرر الذى يحيط به جبل أطريجوش، و هذا الجبل يفصل بين بلاد الأندلس و بلاد الأفرنج. الزهرى، الجغرافية، ص٧٧. لمزيد من التفاصيل عن تاريخ مدينة برشلونة راجع شاهندة سعيد منصور، التاريخ السياسي لمدينة برشلونة من الفتح الإسلامى و حتى سقوط الخلافة الأموية بالأندلس ٩٥- ٤٢٢هـ/ ٧١٣- ١٠٣١م، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، مج٢٤، ع١، ٢٠١٤م.

(٢٣) ابن حيان ، المقتبس، السفر الثانى، ص١٠٢؛ ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٧١.

(٢٤) يحيى بن يحيى الليثى: أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثى. من بربر مصمودة جده كثير هو الذى دخل إلى الأندلس. و يعتبر هو أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس، وصفه مالك بن أنس بأنه عاقل الأندلس. اتهم بأنه كانت له يد فى إشعال هيجة الربض ضد الأمير الحكم، التى كادت أن تسقط حكمه، الأمر الذى اضطر يحيى الليثى إلى الفرار إلى طليطلة إلى أن أمنه الحكم و عاد إلى قرطبة . و قد عظم شأنه عند أمراء بنى أمية حتى أن بلغ الأمر أن أمير الأندلس لم يكن ليولى أحد القضاة بمدن الأندلس إلا بمشورته، غير أنه لم يتولّ منصب القضاء قط. ومن أشهر الحوادث التى تدل على المكانة التى بلغها فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بعدما استفتاه فى مواقعته لجارية فى نهار رمضان، فجمع الفقهاء ليفتوه، فأفتاه يحيى بصيام

شهرين متتاليين ، و حينما سأله الفقهاء لماذا لم تفتِه بالتخيير؟ فقال:" لو فتحنا عليه هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم و يعتق رقبة، و لكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود. توفي يحيى بن يحيى الليثى فى عام ٢٣٤هـ/٨٤٨م. الحميدى(أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى)، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية،٢٠٠٨م، ص٣٨٢؛ حمدى عبد المنعم، تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، ص١٦٩.

(٢٥) عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى من أسرة يمانية، جده عبد الملك هو أحد الوجوه الذين دخلوا الأندلس مع جيش طارق بن زياد. و المعافرى يرجع إلى أصل من أعرق الأصول العربية، نزلت أسرته بالجزيرة الخضراء و استقر أهلها بها و كثر عقبه فيها و لقد جاور منهم الخلفاء بقرطبة جماعة أبو عامر محمد بن الوليد، الذى عرف آل عامر به ليجيء من بعده ولده عامر الذى تقدم عند الخلفاء، و ولى الأعمال و مات بقرطبة. وقد تولى كثير من أبنائها مناصب بالقضاء و الإدارة. و لعل من أشهر أبناء هذه الأسرة الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٦٢.

(٢٦) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص١٠٢ ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٧١.

(٢٧) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص١٠٢.

(٢٨) ابن حيان، المصدر السابق، السفر الثانى، ص١٠٢؛ ابن الأثير، الكامل،ج٥، ص٣٠٩؛ حمدى عبد المنعم حسين، ظاهرة الزواج السياسي فى الأندلس فى عصر الدولة الأموية ١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م، ص١٠٩. بحث منشور ضمن كتاب المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

(٢٩) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى)، المشترك وضعًا والمفترق صعقًا، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٦، ص٨٧-١٣٦.

(٣٠) لمزيد من التفاصيل عن الصوائف فى عصر الدولة الأموية بالمشرق راجع سليمان بن عبد الله السويكت، كتاب الصوائف (المستخرج) محمد بن عائذ الدمشقى ت(٢٣٣هـ/٨٤٧م)، وقفية الأمير غازى للفكر القرآنى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٣١) لمزيد من التفاصيل راجع زينب فاضل رزوقى مرجان، الصوائف و الشواتى، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العراق، ٢٠١٢م.

(٣٢) نجح شارلمان فى إسقاط كل من جرندة فى شمال شرق برشلونة فى سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م، و قرقشونة Carcasona ما بين سنتى ١٧٦- ١٧٧هـ/ ٧٩٢-٧٩٣م؛ و على الرغم من أن المسلمين نجحوا فى استرداد جرندة و قرقشونة و عادوا لاحتلال أربونة ففى سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٥م قام لذويق Ludovice بن شارلمان و نائبه فى حكم أكويتانيا بتحصين Vic و Cardona و كاسيراس Caserras ثم استولى على جرندة من جديد. ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٩٢. انظر كذلك المقرى(أحمد بن محمد المقرى التلمسانى)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج١، ص٣٣٩؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٢٥.

Don Gaspar Castellano, Cronica de la Corona de Aragon, Zaragoza, 1919.p.1-4.

(٣٣) ابن حيان ، المقتبس، السفر الثانى، ص ١١٦-١١٧-ص٤٧٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٠٩، ابن خلدون، العبر،ج٤، ص١٦١؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٩.

(٣٤) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص١٣٦؛ ابن سعيد المغربى، المغرب،ج١، ص٤١؛ منى حسن محمود، المسلمون فى الأندلس، ص١٩٨.

(٣٥) أربونة Narbonne: بلد فى طرف الثغر الأندلسى، سقطت مدينة أربونة عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩م لم يدركوا أنها البداية لسقوط مدينة برشلونة، فعلى الرغم من إرسال عبد الرحمن الداخل جيشًا فإنه لم ينجح فى مهمته نظرًا لتصدى العصابات المنتشرة فى جبال البرتات من القضاء عليها، فأصبحت المدينة منعزلة عن غيرها، الأمر الذى أطمع الفرنج فيها فقاموا بالاتصال بجماعات القوط داخل المدينة و حثهم على الغدر بالمسلمين، فقاموا بالثورة على الحامية المسلمة فى أربونة و قتلوا حراس الأسوار و فتحوا المدينة عنوة و هكذا حرم المسلمون من أهم قواعد خط الدفاع الأول. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص١٤٠؛ وفاء عبد الله بن سليمان المزروع، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجرى، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٢٤.

(٣٦) عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث من قواد الأمير هشام الرضا ، أبوه عبد الواحد كان حاجبًا للأمير هشام الرضا، أغزاه الأمير هشام و ولاه على مدينة سرقسطة ، أخوه الحاجب المشهور عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث حاجب الأمير الحكم الربضى. ابن الآبار، الحلة، ج١، ص١٣٥.

(٣٧) ابن حيان، المقتبس، ص٤١٢.

(٣٨) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص١٣٧.

(٣٩) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٧٤؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٢٦؛ محمد محمد زيتون، المسلمون فى المغرب و الأندلس، بدون طبعة، ١٩٩٠، ص٢٨٦

(٤٠) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣، ج١، ص٢٤١.
El.Hajji(Abd El Rahman), Andalusian Diplomatic relation with western Euroupe during the Umayyed period, Beirut, 1970, op. cit.p.129.

(٤١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦١؛ لمزيد من التفاصيل انظر ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٩٤ و ما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٨٤؛ ابن سعيد المغربى، المغرب فى حلى المغرب،ج١، ص٣٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص١١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٥٩؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص١١٩.

(٤٢) ابن سعيد المغربى، المغرب فى حلى المغرب، ج١، ص٤٧.

(٤٣) ابن الآبار، الحلة السيراء،ج٢، ص٤٦٣.

(٤٤) شنتبرية Santaver: المقطع الأول شنت و يعنى البلدة أو الناحية، و هى مدينة كبيرة شرقى قرطبة، و بينها و بين قرطبة ثمانون فرسخًا(أى حوالى ٤٣٢كم) تقع هذه الكورة حاليًا بمحافظة قونكة كانت توجد بالقرب من نقطة التقاء نهر جواديلا بنهر التاجة جنوب شرق وادى الحجارة. و فى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادى لم تعد شنتبرية عاصمة الإقليم، لأن الفتح بن موسى بن ذى النون فى سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٦م، بنى قاعدة جديدة للكورة و اسمها أقليش.الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٦؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٥١-٥٢؛ ليفى بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٥٩.

(٤٥) ألبة والقلاع: علمان جغرافيان يستعملان عادة معًا فى المصادر، أما ألبة Alava فهى الإقليم الواقع على الضفة اليمنى (الشمالية) لنهر أبرو، أما القلاع فهى التى تعرف باسم قشتالة القديمة Castilla La Vieja. وكانت ألبة والقلاع تشمل فى العصور الإسلامية جميع المنطقة الواقعة بين نهر دويرة جنوبًا و البحر المتوسط شمالًا، و بين بلاد نافار و أراجون شرقًا و مملكة ليون غربًا. ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٣٥.

(٤٦) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٤١٩؛ ليفى بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٧٦.

(٤٧) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٤١٩؛ ليفى بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٧٦.

(٤٨) برنارد بن جيوم أو برنارد الأول ابن وليام جيوم أو جليون تولى إقليم برشلونة فى الفترة من (٨٢٦-٨٣٢م)، كما كان أيضًا حاكم لإقليم سبتمانيا (أى السبعية) فى الفترة من (٨٣٤- ٨٣٥م)، الذى يشتمل على المدن السبعة و هى أربونة، و نيم، و أقد، و بيزيه، و لوديف، و قرقشونة، و ماقلونة. شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب فى فرنسا و سويسرا و إيطاليا و جزائر البحر المتوسط، ص٥٣؛ الحجى، تاريخ الأندلس، ص١٨٧. انتهت حياته السياسية بالعزل.

(٤٩) عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٢٥٧؛ محمد محمد مرسى الشيخ، دولة الفرنجة و علاقاتها بالأمويين فى الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادى(٧٥٥- ٩٧٦م/ ١٣٨-٣٣٦)، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨١، ص١٧٤.

(٥٠) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٤٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٨٨؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٢٣٩؛ ليفى بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص١٨٠.

(٥١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨٣.

(٥٢) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٥.

(٥٣) موسى القسوى هو موسى بن موسى بن فرتون بن قسى و المعروف بموسى الثانى، من أبرز زعماء المولدين بالغر الأعلى و أكثرهم قوة فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ارتبط برابطة الولاء للسلطة المركزية بقرطبة وذلك طوال النصف الأول من عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط تولى بعض مناطق الثغر العلى مثل تطيلة وأرنيط (مدينة بشرق الأندلس من أعمال تطيلة) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص١٦٢؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٢٧. اشترك موسى القسوى و أبناؤه فى الدفاع عن منطقة الثغر الأعلى و حمايتها من غارات الممالك المسيحية بالشمال الإسبانى. كمال السيد أبو مصطفى، المولدون فى منطقة الثغر الأعلى الأندلسي و دورهم السياسي فى عصر الإمارة الأموية، بحث منشور ضمن كتاب بحوث فى تاريخ و حضارة الأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠١٣، ص٧٠.

(٥٤) سرطانية هى سردانية Cerdana و هى إقليم فى محافظة لاردة على سفوح جبال البرتات. و هى تمتد بين دويلة أندروا و سلسة جبال القاضى، و امتد هذا الإقليم عبر جبال البرتات فى داخل فرنسا و يعرف بسردانية الفرنسية. ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٥٧٥.

(٥٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨٦.

(٥٦) ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص١٤٨.

(٥٧) ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، ص١٤٨؛ عنان، دولة الإسلام،ج١، ص٢٤٣.

(٥٨) لمزيد من التفاصيل عن أسباب ثورة الربض راجع أحمد إبراهيم الشعراوى، هياج الربض ثورة شعبية على الحكم الأموى بالأندلس بحث منشور ضمن كتاب دور العرب فى بلاد المغرب و الأندلس، الطبعة الأولى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م،ص٢١٥.

(٥٩) ابن سعيد المغربى، المغرب، ج١، ص٤٣؛ رينهرت دوزى، المسلمون فى الأندلس، ترجمة و تعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ج١، ص٦٦.

(٦٠) إسحاق بن المنذر بن عبد الرحمن بن معاوية ، ابن عم الأمير الحكم الربضى و كان من كبار وزرائه وذوى مشورته. ابن حيان، المقتبس، السفر الثانى، ص٤٨٥.

(٦١) دوزى، المسلمون فى الأندلس، ج١، ص٦٧.

(٦٢) ابن حيان، المصدر السابق، السفر الثانى، ص١٤١؛ ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٧٧.

(٦٣)ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم) ، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مراجعة عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت– لبنان، ١٩٩٤، ص٦٩؛ المقرى، نفح الطيب، ج٥، ص١٥؛ دوزى، المسلمون فى الأندلس، ج١، ص٦٨.

(٦٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٧٧.